المصنفات في هذا العلم

هذا فنٌّ تكلَّمَ فيهِ الأئِمَّةُ الجامعونَ بينَ الحديثِ والفقهِ .

ومن أشهر هذه الكتب ؛ كما ذكر الشيخ أبو شهبة :

١) أول كتاب أُلِّفَ في هذا الفن هو الكتاب الذى أَلَّفَهُ الإمام الكبير الشافعي رحمه الله تعالى الجامع بين علم التفسير والفقه والأصول وغيرهما من العلوم والمتوفي سنة أربع ومائتين ، وهو الموسوم بـ" اختلاف الحديث"، ثم قال : ولست مع السيوطي في زعمه أن الشافعي لم يقصد إفراده بالتأليف ، وإنما تكلم عليه في ضمن كتابه الأم ، وسأدع العالم بالحديث الشيخ أحمد شاكر (١) يرد عليه في تعليقاته الجيدة على كتاب "اختصار علوم الحديث" للحافظ ابن كثير ، المتوفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

قال رحمه الله وأثابه على خدمة الحديث : "ولكن هذا غير جيد ، فإن الشافعي كتب في الأمر كثيرا من أبحاث اختلاف الحديث ، وألف فيه كتابا خاصا بهذا الاسم ، وهو مطبوع بهامش الجزء السابع من الأم ، وذكره محمد بن إسحاق بن النديم في كتاب "الفهرست" ضمن مؤلفات الشافعي ص٢٩٥ ، وابن النديم من أقدم المؤرخين الذين ذكروا العلوم والمؤلفين ، فإنه ألف كتاب "الفهرست" حول سنة ٣٧٧ ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمة الشافعي التي سماها "توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس" ضمن مؤلفاته التي سردها نقلا عن البيهقي ص٧٨ ، والبيهقي

---

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير بتعليق الشيخ شاكر ١٧٤

رحمه الله من أعلم الناس بالشافعي وكتبه، وذكره ابن حجر في شرح النخبة.

٢- كتاب الإمام العالم الأديب أبى محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفي سنة ست وسبعين ومائتين "٢٧٦" وأسمى كتابه "تأويل مختلف الحديث" فأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء غير حسنة قصر باعه فيه، وعذره أنه لم يكن من أهل الحديث المتمرسين فيه، ولم يكن قصده الاستيعاب، ولكن بحسبه فضلا أنه يعتبر أول من رد على النظام (١) وأمثاله؛ من الطاعنين في الحديث وأهله؛ في وقت لم يقم فيه بهذا الفرض الكفائي غيره من المحدثين (٢).

---

(١) النَّظَّام: إِبْرَاهِيم بن سيار بن هَانِئ الْبَصْرِيّ من أَئِمَّة الْمُعْتَزلَة تبحر فِي عُلُوم الفلسفة واطلع على كثير مِمَّا كتبه رجالها، وَله فرقة تابعته سميت "النظامية" نِسْبَة إِلَيْهِ، وَله كتب كَثِيرَة فِي الفلسفة والاعتزال، وَتُوفِّي عَام ٢٣١هـ.

(٢) قال محقق كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة مُحَمَّد محيى الدِّين الأَصْفَر في تقدمة الكتاب: سيجد القَارئ في هَذَا الكتاب إِلَى جَانب دفاع ابْن قُتَيْبَة البارع عَن السّنة ونصرته لَهَا من الاستطرادات العلمية واللغوية والشعرية والفقهية والفلسفية، والاستشهاد بِالآيَاتِ القرآنية وَتَفْسِير بَعْضهَا، وَالِاسْتِدْلَال بِبَعْض مَا ورد في الكتب السماوية الأُخْرَى والأحداث التاريخية والطرف والنوادر والحكايات؛ مِمَّا يمتع وينفع، وَيدل على سَعَة معرفَة الْمُؤلف رَحمَه الله وإحاطته بعلوم ومعارف عصره. يَسُوق ذَلِك كُله ليزيل الالتباس الحَاصِل في فهم الحَدِيث، أَو إِزَالَة شُبْهَة التَّعَارُض والتناقض. وَإِذا كَانَ لأحد أَن يسْتَدرك على الْمُؤلف شَيْئا؛ فَهُوَ دفاعه عَن بعض الأَحَادِيث الضعيفة أَو الْمَوْضُوعَة، وَالتي كَانَ يُغْنِيه فِيهَا أَن يذكر ضعفها وَعدم ضَرُورَة الِاحْتِجَاج بهَا. بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنه كَانَ يعتمده في موطن الِاسْتِدْلَال على صِحَة مَا ورد في الحَدِيث من معنى بِمَا ورد في الكتب السماوية الأُخْرَى، وَلَا يخفي أَن هَذِه الكتب لَا يحْتَج بهَا لما نعتقده فِيهَا من تَحْرِيف، فَكيف يُمكن أَن تقبل دَلِيلا على الصَّوَاب ؟! ثمَّ انتقاصه لبَعض الأَعْلَام

ولم يأت هذا الكتاب قاصرا على "مختلف الحديث" بمعناه الفني الدقيق ، ولكن جاء مشتملا عليه وعلى غيره من المشكل، فقد عرض للرد عليهم في حديث : " الذباب (١) "، وفي حديث : "أن موسى لطم عين ملك الموت فأعوره (٢) "، وفي حديث: " أن رسول الله ﷺ سحر وجعل سحره في بئر ذي أروان ، وأن عليا ﷺ استخرجه ، وكلما حل منه عقدة وجد النبي ﷺ خفة ، فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال (٣) "، وغير ذلك . وهذه الأحاديث أحق أن تكون من "مشكل الحديث " .

= بِسَبَب مخالفتهم بِالِاجْتِهَادِ، ومبالغته في ذَلِك إِلَى حد التشكيك بصدقهم وتقواهم وَدينهمْ، وَذَلِكَ مِمَّن تَوَاتر الثَّنَاء عَلَيْهِم، غفر الله لَهُ.لَكِن الكتاب بمجمله يعْتَبر من أفضل مَا كتب في بَابه، وَيدل على علو كَعْب المُؤلف - رَحمَه الله وأجزل ثَوَابه - بَين عُلَمَاء عصره في عدد من العُلُوم والمعارف، وَلَإِنْ وجدت فِيهِ هَنَات مَعْدُودَة - رُبمَا دَفعه إِلَيْهَا حماسه لما يَرَاهُ حقًّا، وغيرته على حَدِيثِ رَسُولِ اللهَّ ﷺ - فَإِن الكَمَال لله وَحده، وكل إِنْسَان يُؤْخَذ مِنْهُ وَيرد إِلَّا صَاحب هَذَا القَبْر؛ كَمَا قَالَ الإِمَام مَالك رَحمَه الله، فَلَا يجوزك انتقاصه حَقه وَقد قدم الكثير الجيد الَّذِى يعْتَبر بِحَق زِيَادَة في بَابه وَعَملا أصيلًا غزيرًا، تقبل الله مِنْهُ وَمنا، وَغفر لَهُ وَلنَا، وَأَعْلَى مقَامه، وَجَعَلنَا وإياه في زمرة أحبابه وأوليائه وخاصته من خلقه. اللَّهُمَّ آمين.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ بَابُ إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الأُخْرَى شِفَاءً ٤ / ١٣٠ ح ٣٣٢٠ ، وأبو داود في سننه كتاب الأطعمة بَابٌ فِي الذُّبَابِ يَقَعُ فِي الطَّعَامِ٣ / ٣٦٥ح٣٨٤٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا ٢ / ٩٠ ح ١٣٣٩ . ومسلم في صحيحه في كتاب في كتاب الْفَضَائِلِ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى ﷺ ٢ / ١٨٤٢ ح٢٣٧٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب السحر ٧ / ١٣٦ ح ٥٧٦٣ ، ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب السحر٤ / ١٧١٩ ح ٢١٨٩

٣- ومن الكتب النافعة المفيدة في هذا كتاب : "مشكل الآثار" للإمام الحافظ الفقيه أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المصري ، والذى انتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر في عصره ، المتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وهو يعتبر من أحفل الكتب وأجمعها وأنفعها في هذا الباب ، ولم يقتصر فيه على مختلف الحديث بمعناه الفني الدقيق ؛ بل جمع فيه إلى ذلك الأحاديث المشكلة التي هي أعم من المتعارضة .

٤- ومن الكتب المفيدة في هذا كتاب : "مشكل الحديث وبيانه" للإمام الأصولي المتكلم أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك [١] الأنصاري الأصبهاني المتوفي سنة ست وأربعمائة "٤٠٦هـ"،ويفصح عن مراده بمشكل الحديث ما ذكره في مقدمة كتابه .

قال رحمه الله وأثابه : " أما بعد فقد وفقت - أسعدكم الله - إلى إملاء كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ مما يوهم ظاهره التشبيه مما يتسلق به الملحدون على الطعن في الدين، وخصوا بتقبيح ذلك الطائفة التي هي الظاهرة بالحق لسانًا وبيانًا وقهرًا وعلوًّا وإمكانًا، الظاهرة عقائدها من شوائب الأباطيل وشوائب البدع والأهواء الفاسدة ، وهى المعروفة بأنها : أصحاب الحديث [٢] .

---

(١) هو إمام متكلم أصولى أديب نحوى واعظ ، له علم بالحديث ، بلغت مصنفاته في علم أصول الفقه وأصول الدين ومعانى القرآن قريبًا من مائة ، وكان شديد الرد على الكرامية ، وله مناظرات معهم كثيرة . وفيات الأعيان ٤ / ٢٧٢

(٢) مشكل الحديث وبيانه ٢ و٣